



خطبة صلاة الجمعة 4/10/2024 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (هدي رسول الله ﷺ في الأخذ على يد الظالم)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفية وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].  
وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب يقول: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

قال النووي في شرح مسلم: (قوله "خير الهدي هدي محمد" جاءت الرواية بوجهين: الأول: بفتح الهاء وإسكان الدال: ومعناه الطريقة، أي أحسن الطرق طريق محمد، والثاني: بضم الهاء وفتح الدال فيهما، ومعناه الدلالة والإرشاد).

فأحسن الهدي هدي محمد، أي أحسن الطريق والهداية والدلالة والإرشاد هدي رسول الله محمد

ﷺ

أيها الإخوة:

في شهر ربيع شهر ولادة سيدنا محمد ﷺ تابعنا سلسلة بدأناها قبل سنوات في شهر المولد عنواؤها: (هدي رسول الله ﷺ). تابعناها لنكثر من الصلاة والسلام عليه ﷺ ولنهتدي بهديه ونتأسى بسنته فننال الخطوة بشفاعته صلوات ربي وسلامه عليه.

عنوان خطبة اليوم:

## هدي رسول الله ﷺ في الأخذ على يد الظالم

أيها الإخوة:

وجدت من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الأخذ على يد الظالم:

### 1- كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن الظلم ابتداءً:

يذكر أحد الباحثين أربعة مقاصد للشرعية الإسلامية يسميها المقاصد الكبرى للشرعية الإسلامية، والمراد بالمقاصد: الأهداف والغايات التي يسعى الشارع الحكيم لتحقيقها من خلال التكاليف الشرعية لتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وهذه المقاصد الكبرى أربعة: أولها: تحقيق العبودية لله تعالى، وثانيها: عمارة الأرض، وثالثها: نشر العدل والحرية والمساواة، ورابعها: بسط الائتلاف والجماعة والمحبة.

فنشر العدل ومنع الظلم، ونصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم، مقصد كبير من مقاصد الشريعة الإسلامية ولذلك نجد في القرآن الكريم مائتين وتسعة وثمانين موضعاً تتحدث عن النهي عن الظلم وعن عاقبة الظالمين، ونجد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أضعاف ذلك.

أخرج الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة».

وأخرج الإمام الترمذي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ملعونٌ من ضارَّ مؤمناً، أو مكر به».

وأخرج الإمامان مسلم والترمذي عن أبي ذرٍّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما روى عن الله تبارك وتعالى: «يا عبادي إني حرمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا».

وأخرجنا عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، ثم قرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ

شَدِيدٌ﴾ [هود: 102].

فالحاصل أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن الظلم ابتداءً؛ عن ظلم الإنسان لنفسه أو لغيره، سواء ظلمه بالاعتداء على ماله وأرضه بالسرقة والسلب والنهب والغصب، أو الاعتداء على نفسه بالقتل والجرح، أو الاعتداء على عرضه بالشتيم والطعن والقذف والغيبة والزنا ومقدماته. والنصوص النبوية في هذه المعاني كثيرة.

## 2- كان صلى الله عليه وسلم يأخذ على يد الظالم بنصحه أو بصدده ودفعه أو بقتاله:

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي قال: قدم رجل من إراش بإبل له فابتاعها منه أبو جهل بن هشام، فمطله بأثمانها، فأقبل حتى وقف على نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد، فقال: يا معشر قريش من رجل يعينني على أبي الحكم بن هشام؟ فإني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقّي.

فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل - لرسول الله صلى الله عليه وسلم - يهزؤون به لما يعلمون بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة، اذهب إليه فهو يعينك عليه. فأقبل الإراشيّ حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك، فقام معه فلما قام معه قالوا للرجل ممن معهم: اتبعه فانظر ماذا يصنع.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه ف ضرب عليه بابه، فقال: من هذا؟ قال محمد، فاخرج إليّ.

فخرج إليه وما في وجهه من رائحة فقد انتقع لونه، فقال: أعط هذا حقّه!

قال: نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له!

فدخل ثم خرج إليه بحقه فدفعه إليه.

فأقبل الإراشيّ حتى وقف على ذلك المجلس فقال: جزاه الله خيراً فقد والله أخذ لي بحقي.

وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا: ويحك ماذا رأيت؟ قال: رأيت عجباً من العجب! والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه فقال: أعط هذا حقّه. قال: نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقّه فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه.

ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا: ويلك مالك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعتك قط.

قال: ويحكم الله ما هو إلا أن ضرب عليّ بابي فسمعت صوته فملتت رعباً، ثم خرجت إليه وإنّ فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصّرتيه - أي عنقه - ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلي.

فها هنا يأخذ صلى الله عليه وسلم على يد الظالم فيصده عن ظلمه ويرده.

وقصة فتح مكة مشهورة، ففي السنة الثامنة للهجرة كلم ناس من بني بكر، أشراف قريش في أن يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح. (وخزاعة كانت قد دخلت في عهد المسلمين وبني بكر كانت قد دخلت في عهد قريش، وكان بين المسلمين وقريش صلح الحديبية)، فغدرت قريش بالمسلمين ونقضت العهد وأجابت خزاعة إلى ذلك، وخرج حشد من قريش متنكرين متنقبين مع بني بكر، وبيتوا خزاعة ليلاً وهم مطمئنون آمنون، فقتلوا منهم عشرين رجلاً، وعندئذ خرج عمرو بن سالم الخزاعي، يستنصر بالمسلمين لدفع الظلم عنهم، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بما أصابهم، يقول:

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا	حَلَفَ أَيْنَا وَأَيَّهِ الْأَثَلَدَا
قَدْ كُنْتُمْ وُلَدًا وَكُنَّا وَالِدَا	ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ تَنْزِعْ يَدَا
فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا	وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا	إِنْ سِيَمِ حَسَنًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبَدًا	إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمُؤْعِدَا
وَتَقْضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا	وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَائِهِ رُصَّدَا
وَرَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا	وَهُمْ أَذُلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
هُمْ بَيِّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا	وَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَبَدَا

فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه قائلاً: «لا نصرت إن لم أنصر بني كعب، مما أنصر منه نفسي».

وجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً كان هو جيش فتح مكة، ليكف الظالم عن ظلمه ويرد الخائن الناقض للعهد إلى رشده.

فالحاصل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ على يد الظالم بنصحه أو بصدده ودفعه أو بقتاله.

3- كان صلى الله عليه وسلم يؤكد على أن من أعان ظالماً كان شريكه في الإثم والعقوبة:

أخرج ابن ماجه وغيره عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أعان على خصومة بظلم، أو يعين على ظلم، لم يزل في سخط الله حتى ينزع» وفي رواية أبي داود «فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وأخرج القضاعي في مسند الشهاب عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مشى مع ظالم فقد أجرم، يقول الله تعالى ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾» [السجدة: 22].

أيها الإخوة:

ترون اعتداء الصهاينة المجرمين مدعومين بأعوانهم الكفرة من الغربيين على كل ما اتفقت عليه الإنسانية من مبادئ وقيم، وعلى كل ما استطاعوا من بشر وشجر وحجر، في فلسطين ولبنان، وإن إخواننا هناك يدفعون بمهجهم وأرواحهم عن الأمة جمعاء، فالواجب على كل بلاد المسلمين حكماً ومحكومين الأخذ على يد الظالمين المجرمين بما يستطيعون؛ لأن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمَّهُم الله بعقاب.

وقد سمعتم ثلاثة من هدي النبي ﷺ في الأخذ على يد الظالم.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين